رسالة

معالي الأستاذ الدكتور عز الدين إبراهيم *

تمهيد

أكتب هذه الورقة الموجزة في لندن، حيث اضطرتني بعض المراجعات الطبية، أن أكون فيها متغيبا عن المشاركة في هذا المؤتمر، فأردت أن لا أحرم نفسي من شرف المشاركة فيه، ولو من بعيد، كما أردت إرسال الورقة أن أعتذر إلى أخي وزميلي البروفيسور الدكتور خليل الرحمن مدير مركز الشيخ زايد الإسلامي الذي اتفقت معه منذ مدة على إقامة هذا المؤتمر المهم، وقد صدمتنا وأحزنتنا الأحداث الدامية المتكررة، والاعتداءات المتبادلة بين السنة والشيعة، في باكستان على المساجد والحسينيات، والممتلكات والتي سقطت بسببها أرواح مسلمة بريئة، وتجددت بها العصبيات الكريهة، التي لا يقرها الدين، أو المروءة الإنسانية، أو المصلحة الوطنية، وقد كتبت الورقة بالعربية لأنها لغة عزيزة على المسلمين، وفي الترجمة الأردية أو الإنجليزية ما يسهل المتابعة إن شاء الله.

بدءا من الأربعينات في القرن الماضي، صحت عزيمة المسلمين سنتهم وشيعتهم على بذل الجهد للتقريب بين المذهبين، والتقارب بين أتباعهما الذين

---

* - المستشار الثقافي لسمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله. ومؤسس المركز الثقافي الإسلامي في رحاب جامعة كراتشي، وحاليا الرئيس المناوب للجنة الاستشارية المشتركة بين باكستان ودولة الإمارات العربية المتحدة، لإدارة مراكز الشيخ زايد الإسلامي في كراتشي، ولاهور، وبيشاور، والمستشار الثقافي لدى وزارة شؤون الرئاسة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

تتكون منهم أمة الإسلام، إذ لا يوجد في العالم الإسلامي سوى هذين المذهبين الكبيرين، وما عداهما لا يزيد عن ١% من المسلمين، فتألفت في مصر "دار التقريب بين المذاهب" ومثل الشيعة فيها الشيخ محمد تقي الدين القمي، وتصدر علماء المسلمين فيها الشيخ محمد مصطفى المراغي والشيخ محمود شلتوت، والشيخ حسن البنا، وغيرهم ويقول آية الله الشيخ علي أكبر رفسنجاني أن جهود التقريب قد بدأت قبل ذلك.

ومنذ تلك البداية المخلصة، حصلت حتى الآن خمسة اختراقات في اتجاه التقريب ألخصها فيما يلي:

أ- الاختراق الأول:

اختراق فقهي، حيث أصدر الشيخ محمد شلتوت شيخ الأزهر فتوتين مشهورتين، تدعو الأولى إلى إدراج "الفقه الجعفري"، ضمن دراسات الفقه في الجامع الأزهر السني، وتدعو الثانية إلى جواز التعبد بأي من المذاهب الإسلامية، ومنها المذهب الجعفري، كما اتفق علماء السنة والشيعة المجتمعون تحت مظلة التقريب في مصر على الالتفاف حول العقائد والأصول المجمع عليها، وإعذار بعضهم بعضا في الفرعيات التي ليست من شروط الإيمان ولا من أركان الدين، ولا تتضمن انكارا لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

ب- الاختراق الثاني:

هو اختراق تشريعي باعتماد المذاهب الثمانية مرجعية للتشريعات، وسميت هذه المذاهب بالأربعة السنية، والإمامية، والزيدية من الشيعة، والآباضية، ومذهب ابن حزم الظاهري، وإن لم توجد له تبعية ملحوظة، وظهر أثر هذا الاختراق عند وضع القانون المدني في كل جمهورية مصر العربية، والجمهورية العربية

السورية ودولة الإمارات العربية المتحدة في السبعينات، ثم أصبح تقليدا في التشريعات بالدول العربية والإسلامية.

ج- الاختراق الثالث:

هو اختراق علمي، حيث أصبح مألوفا في الأعمال العلمية، وخاصة الموسوعية أن يرجع مؤلفوها إلى المذاهب الثمانية، كما حصل في جمهورية مصر العربية، ودولة الكويت لدى إصدار موسوعتيها للفقه الإسلامي، ويجري الآن في جدة بالمملكة العربية السعودية تأليف موسوعة للقواعد الفقهية شاملة المذاهب الثمانية، وذلك بالتعاون مع كل من مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، ومؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية.

د- الاختراق الرابع:

هو اختراق يعالج أصلا من أصول الخلافات بين الفريقين وهو اعتماد الكتب المرجعية للسنة النبوية، وهل هي الكتب الستة التي يعتمدها أهل السنة أو الكتب الأربعة التي تعتمدها الشيعة؟، وقد اتضح أن الخلاف يسير، لأن المشترك بين كتب الفريقين، يكاد يبلغ ١٠% من محتوياتها مع اختلاف في العبارات لا يغير المضامين، وما تبقي هو من قبيل الزيادة أو النقصان، مع وجود قدر قليل مما ليس موضوع اتفاق.

وقد بدأ هذا الاختراق قبل الحرب الإيرانية العراقية بتشكيل لجنة من علماء الفريقين وخبرائهما، تشرفت بأن أكون من بينهم، والتزم مشكورا رجل الأعمال الإماراتي السيد محمد مهدي بتغطية التكاليف المالية، ولكن شرور تلك الحرب الظالمة قد عطلت المشروع، ولكنه استؤنف في مدينة طهران عاصمة الجمهورية

الإسلامية الإيرانية بجهود كتلك التي يبذلها آية الله الشيخ محمد علي التسخيري في جمع المشترك في موضوعات معينة كالمشترك في "الصلاة"، والمشترك في "الصيام"، وأملنا في أن يستأنف العمل في المشروع الشامل الذي تعطل من قبل، وباكتماله يكون الفريقان أمام وحدة المصدرين الرئيسيين، القرآن الكريم والسنة المشرفة.

هـ- الاختراق الخامس:

هو حصول ما يشبه الاجماع بين المسلمين على ضرورة الاهتمام بالتقريب بين المذاهب، وخاصة بين السنة والشيعة، ويتجلى هذا في وفرة المؤسسات التي أعلنت اهتمامها بهذا الموضوع، وعقدت له اللقاءات العلمية، وتخصص بعضها في متابعته، ومن هذه المؤسسة منظمة الاسيسكو في الرباط (المملكة المغربية) المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة، ومجمع البحوث الإسلامية في مصر الذي يضم علية العلماء من مصر وغيرها، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، أضف إلى ذلك المؤتمرات التي عقدت في كل من مملكة البحرين، والدوحة (دولة قطر)، ومكة المكرمة (المملكة العربية السعودية)، وهذا المؤتمر في كراتشي، وقد حفز هذا الإجماع ما يقع في العراق وباكستان، وغيرهما من مصادمات مؤسفة جعلت إحدى الصحف الأمريكية تبرز على غلافها صورة تمثل السنة والشيعة، وتحتها عبارة " لماذا يكره بعضهم بعضا؟ "، والحقيقة أنه لا كره ولا بغضاء، وإنما الوقوع ضحية للمؤمرات السياسية في بلادنا.

وأريد في هذه الورقة أن أقترح اختراقا سادسا، سبق أن عرضته في بحث مفصل قدم إلى الندوة الدولية حول "الحوار بين الحضارات من أجل التعايش" عقدت في دمشق بالجمهورية العربية السورية خلال الفترة من ١٨-٢٠ مايو

٢٠٠٢م، ومقتضاه أن نترك مهمة "التقريب" بما فيها من عمق علمي، تستحب فيه الأناة للعلماء، وأن نعتني بمهمة أخرى هي التقارب والتعايش، بين أتباع المذهبين، بمعنى العيش المشترك في أخوة و وئام، مع احترام والتزام كل فريق بخصوصياته، وللتقارب والتعايش أسس بينتها في ذلك البحث، وهي مستخلصة مما قررته المؤتمرات العديدة واللقاءات المتتابعة لعلماء الفريقين وهي:

١- تحاشي التكفير والإخراج من الملة.

٢- تحاشي التجريح للرموز التاريخية للفريقين من آل البيت والصحابة.

٣- تحاشي التبشير والدعوة إلى تغيير المذهب، وترك الاختيار لمن يريده بلا تدخل.

٤- تحاشي الخوض في أحداث الماضي التاريخية.

٥- للمسلمين قبلة واحدة، والمشاركة في العبادات جائزة إمامة ومأمومية.

٦- التراث العلمي مشترك بين الفريقين، وإذا كان بعض أئمة الفريقين قد تلاقوا في الماضي، وتبادلوا المعارف، فما أحرى الاتباع أن يحترموا كتب الفريقين وأبحاثهم ويستفيدوا منها الآن.

٧- تحريم الاعتداءات على الأرواح والمساجد والحسينيات وأماكن التجمع، والإكراه على تغيير أماكن الإقامة.

٨- التعاون في البأساء والضراء، ومواجهة الشدائد، ومنها مقاومة الاعتداء الخارجي بالمشاركة صفا واحدا كالبنيان المرصوص.

٩- المشاركة في حوار الحضارات باعتبارنا أبناء حضارة واحدة تشاركنا في بنائها، في وجه من يغالط التاريخ الإنساني، ويتبنى صراع الحضارات، ويتخذ المسلمين هدفا للعداء.

١٠- تأييد جهود التقريب التي يقوم بها العلماء الأثبات من الفريقين، والذين يحتاجون إلى المصابرة، والوقت لتوجيه الجماهير للتخلص من رواسب الماضي بالتي هي أحسن.

تلك عشرة كاملة من الأسس ونتاجها إنشاء الله هو التقارب "البشري" الذي يعين على "التقريب" الفكري.

وبعد فقد عنيت هذه الورقة بجانب واحد من مباحث الوفاق والوئام والتعايش بين البشر، التي يدرسها هذا المؤتمر، الذي نرجو له التوفيق، مستهدين بقول الله تعالى:

﴿...فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [١].

[١]- سورة البقرة آية ٢١٣.